كلمة وزير المعارف

منذ عشرة قرون خلت شهدت معرة النعمان مولد ابنها البار أبي العلاء فما كانت لتعلمَ أو لتحلم أن هذا المولود سيكون له شأن كبير في عالم الشعر والحكمة وفي دنيا الأدب وان قصائده سيرتلها كل لسان ينطق بلغة القرآن ولم يخطر لها على بال أن ضريحه سيصبح في مستقبل الأيام مزاراً لأعاظم الأدباء وكبار الكتاب والبلغاء وفحول الفصحاء والشعراء يؤمونه ليضعوا على مرقده أكاليل من أزاهر الشعر وفنون الأدب جادت بها عقولهم وطبائعهم وصاغتها قرائحهم الفياضة .

سادتي : ودعت دمشق عيداً لتستقبل عيداً جديداً نثرت عليه روعتها الف عام . دمشق التي عرفت أمجاد بني أمية الأعظمين فاستمعت ربوعها الى شعرائهم الميامين . دمشق التي رددت جنباتها أصداء مجالس الخلفاء وحفلت مغانيها بحلقات الأدباء ستزحف بمن اجتمع من أعاظم رجالات الأدب والعلم من كل قطر عربي الى مرقد أبي العلاء لتؤدي فروض التكريم والاجلال لروح هذا الفيلسوف الكبير اعترافاً بجميل الصنع وبيض الأيادي .

ان تكريم العظماء في حياتهم والاحتفال بذكراهم واقامة مهرجانات لهم بعد مماتهم سنة حسنة سنها السلف من أهل العقول الراجحة .

ان دمشق لترحب بجمهرة رجالات الأدب من الطراز الأول وتفخر لمرور هذه النجوم في سمائها ومن رأى في هذا اليوم البهيج بردى ونهيرات النيربين تصفق بالرحيق ومن رأى حوْر دمر والغوطتين تمايل بالقد الرشيق عرف أيّ تحية اكبار واعجاب ترسلها دمشق الى هؤلاء الضيوف الأخيار وعرف أيّ عاطفة زهو وغبطة وخيلاء يبعثها هذا الحدث العظيم .

شرفتم يا سادتي لتشاطرونا الاحتفال بهذه الذكرى فأهلاً ومرحباً بالزوار الأكارم والضيوف الأعاظم الوافدين من وادي النيل العزيز وأرض الكنانة

والقادمين من بلاد الرافدين وعاصمة الرشيد أهلاً بأعلام المشرق والمغرب ثم أهلاً فشكراً لكم وللقائمين على هـذا المهرجان التاريخي في ظل حضرة صاحب الفخامة الرئيس الأول وفي عهده الميمون تخفق له الأفئدة وترنو اليه العيون .

سادتي الأكارم : ها هي ذي الف عام تنقضي على رسالة شيخ المعرة وهي عامرة في نفوس الناطقين بالضـاد باقية لتضيء سبل الأدب والحكمة خالدة على وجه الدهر . فهي خير ذخيرة لرواد الأدب تنير قرائحهم وتلهب شعورهم وتصقل عقولهم غذاها أبو العلاء من روحه وقلبه ونور بصيرته ستحملون يا سادتي هذا المشعل العظيم الذي خلفه المعري — ومن أحرى منكم بهذا الشرف — من عاصمة بني أمية إلى مرقد ابن الوليد ومن مدينة أبي الفداء الى مرقد المعري فحاضرة سيف الدولة ثم الى الشاطيء السوري . وستشخص اليكم العروبة بأبصارها وتصيخ إلى كلمكم بأسماعها .

سادتي : ما كان المعري يحفل بالتكريم في حياته ولكنه واجب في أعناقنا نؤديه نحو الأجداد ودرس يفيد منه الأحفـاد نحتفل بذكراه اليوم فالذكرى تنفع المؤمنين وأيّ نفع عميم توحيه ذكرى الشيخ الحكيم .

ان ذكرى المعري توحي الينا أموراً كثيرة من سياسية واجتماعية وثقافية وترشدنا إلى نقائص عديدة نحن بحاجة ماسة الى المبادرة لاستكمالها . أما السياسة فلها أربابها يعالجونها بقدر ما تسمح لهم الظروف وحسبما تقتضيه المصلحة . وأما الناحية الثقافية فمن أجدر بها منكم فمعالجتها موكولة اليكم وفي ذمتكم وإيجاد الحلول الموفقة لها من خصائصكم . تنتظر الأمة منكم تعيين المناهج لوحدة الثقافة في الأقطار العربية ووضع المصطلحات العلمية والفنية وإيجاد معاجم لها على اختلاف أنواعها ورسم خطة رشيدة للأدب يمكن معها لجيلنا الحاضر أن يشق طريقه على نور هديها وغير ذلك .

كان الأدب ولا يزال القائد الأعلى المطاع في معارك الحرية ووثبات الشعوب .

فيا أمراء البيان وأئمة لغة القرآن عليكم المعول في سد هذه الثلمات

واليكم المرجع في تدارك هذه الحاجات فالشباب متعطش إلى مآثركم الحميدة ومتشوق إلى نتائج مواهبكم المجيدة .

سادتي : لم يكن للمعري في حياته شغف في السياسة ولم يلتفت اليها بل كان منصرفاً بمجموعه إلى الأدب والشعر والفلسفة ولكن الأحداث والوقائع التي كانت تجري حوله لم يغب عنه أثرها ولم يكن مرتاحاً إلى نتائجها وعواقبها . كان يشعر بتفكك في عرى الوحدة العربية وبضعف في سلطان الخلافة والملك . فمن ذلك الضعف والتفكك نشأت دويلات عديدة كانت إلباً على بعضها . هذا ما أثار نفس أبي العلاء الحساسة وألهب شعوره فأرسل صيحته ندوي في الآفاق مردداً هذه الأبيات :

ولو أني حبيت الخلد فرداً لما أحببت بالخلد انفرادا

فلا هطلت علي ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا

هذه دروس ومواعظ القاها المعري على الناس وخلدها للأجيال القادمة فاستحق منها كل اجلال وتكريم واستحقت ذكراه التخليد والتأييد . إن عيدنا الأكبر يا سادة : هو اليوم الذي تحقق فيه أمنية هذا الشيخ الحكيم ألا وهي الوحدة العربية الشاملة . فيرحمك الله يا أبا العلاء رحمة واسعة ويجعل مقرك الجنان وسلام الله على روحك الابية وسلام عليكم أجمعين .

نصوحي البخاري